الفكـر السـياسي
عند الإمامين العسكريين عليهما السلام

المدرس المساعد
عامرة تمكين الياسري
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية

الفكر السياسي عند الإمامين العسكريين عليهما السلام

المدرس المساعد
عامرة تمكين الياسري
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية

المقدمة:ـ

لم يكن علم أئمة الهدى والورع عليهم السلام في جهة من الجهات أو في مجال من المجالات الفكرية والثقافية أو التربوية بل كان علمهم عليهم السلام في كل المجالات والمواقع التي يحتاج اليها المجتمع لكونهم أئمة العباد وساسة البلاد الذين وجبت طاعتهم في أعناق الخلق أجمعين.

وقد توهم بعضهم ان علم الأئمة عليهم السلام اقتصر على الفقه من العبادات والمعاملات - أو أكثر من ذلك - على حل المشكلات والمعضلات الاجتماعية ولم يكن لهم علم ولا اطلاع بالأمور السياسية والإدارية العامة. بل إن أئمة العلم والفهم سبل النجاة وهم الذين وضعوا ركائز السياسة وأسسها وقواعدها وشروطها التي تنطلق من القرآن والسنة النبوية.

ولا فصل بين المسائل السياسية وبين أي مسألة من المسائل الفقهية الدينية على الاطلاق إذ الدين عين السياسة والسياسة عين الدين لأن التحرك السياسي في مختلف المجالات والأنحاء يحتاج الى الفقيه ليعطي الشرعية له وأئمة الهدى عليهم السلام افقه الناس والخلق أجمعين[1].

والسياسة بالمفهوم الإسلامي حددها أمير المؤمنين عليه السلام وقد اشتهر القول عنه عليه السلام كما في نص نهج البلاغة (قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها

من لا حريجة له في الدين)[٢] حددها عليه السلام بتحقيق العدالة والمساواة وليس بالظلم والقوة التي تبتعد عن خط القرآن وسيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وليست السياسة ذلك المفهوم المعروف والمشهور والذي ابتعد عنه أهل البيت عليهم السلام لأن الإسلام يرفضه رفضا قاطعا بأن (الغاية تبرر الوسيلة). لأن السياسة تقوم على الأساس الشرعي وليس على حساب المصالح والغايات والأهواء والأطماع الشخصية.

وكانت خطة البحث منتظمة من مطالب عدة وهي كالآتي:

نظرية الحكم في التشريع الإسلامي:-

ما دام الإسلام قد شرع القواعد والقوانين لتصبح نظماً كاملة للحياة فكان لزاماً عليه أن يبني كيفية تنفيذ تلك الشرائع وتطبيق تلك النظم ويحدد مواصفات السلطة المنفذة وشروطها وقواعد تسلطها ومدى حدود صلاحياتها وتتمثل سلطة التنفيذ هذه بالدولة[٣]، (فالدولة الإسلامية هي التي تتخذ من الإسلام ((الأطروحة الإلهية)) أساساً لعملية البناء وشكلاً لنظامها الاجتماعي. فالأمة الإسلامية تمتاز من غيرها من الأمم بأنها أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وانها امة وسط وشهيدة على العالم على المستوى الخارجي)[٤] وأكد الفقهاء والباحثون ذلك إذ (لم يعتن دين من الأديان أو مذهب من المذاهب (بالسياسة) كما اعتنى بها الإسلام فقد فرضها على المسلمين جميعاً وأوجب عليهم التدخل الإيجابي في جميع الشؤون العامة)[٥] وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وآله ذلك بقوله (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته) وذهب بعضهم إلى أن الإسلام لم يحدد للمسلمين نظاماً معيناً ومفصلاً في الحكم (وفي السياسة أو في الاقتصاد ولم يدر ظهره لأمور الدنيا وشؤون الدولة، وإنما وضع القواعد العامة والأطر المرنة، والقوانين الكلية، ثم أطلق للعقل والبشر به العنان ليضعا النظم والقوانين

والنظريات المتغيرة دائماً والمتطورة أبداً وفق المصلحة وعلى ضوء هذه المثل والكليات)[٦].

إنّ الله سبحانه وتعالى أوكل زمام مسيرة الأمة المتجمع إلى وكيلتين هما - كتاب الله والعقل[٧] - ما كان في الوكيل الأول أي حكم واضح المعالم ومبين لجميع أحكام الحياة وإنما رسم الخطوط العريضة للقوانين - الدينية والدنيوية - وأعطى قواعد وقوانين تدور حولها أو تتفرع عليها الحلول الفاجعة، وأمر بتثوير تلك القواعد لتصبح نظماً عامة للحياة.

ثم جاءت السنة النبوية وآراء الفقهاء الكاشفة عن الأحكام الشرعية والذين تخصصوا في أمر الدين دعا صروه منذ ولادته، ومن مجموعة آرائهم ومناقشتها جاءت هذه الثروة الهائلة من العلوم وتبينت الخطوط العريضة والمتخصصة لأسس الدولة في الإسلام سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وإداريا[٨].

فإن سنة الرسول صلى الله عليه وآله غير التشريعية والتي تعد منها (تصرفاته في السياسة والحرب والسلم والمال والاجتماع والقضاء ومثلها وما شابهها من أمور الدين. فأن امتدادنا بالرسول صلى الله عليه وآله فيها يتحقق بالتزامنا (المعيار) الذي حكم تعرفاته فهو كقائد للدولة كان يحكم فيها على النحو الذي يحقق (مصلحة) الأمة ويدفع عنا الضرر والضرار كنا مقتدين بالرسول صلى الله عليه وآله حتى لو خالفت نظمنا وقوانيننا ما روي عنه في السياسة من أحاديث)[٩].

ونظام الحكم في الإسلام لا يعني صورة معينة وحيدة من حكم، وإنما هو يتسع لعشرات الصور من ألوان الحكم، الذي يتفق والحاجات المستجدة والمتطورة في كل مكان وزمان[١٠]، ويعني هذا تطبيق جملة من المبادئ الأساسية التي جاء بها الإسلام منها الحرب، العدالة، المساواة، الشورى، بشرط أن لا تحلل حراماً ولا تحرم حلالاً.

وفي عصر تضاءلت فيه القيم الاجتماعية، وعصفت به رياح الانحراف واشتدت حملات الإرهاب الدموي في ظل حياة سياسية صافية، ومتاهات استبدادية مظلمة، كان الإمام الهادي يقظ الضمير متكامل التفكير في بث الوعي الرسالي بين صفوف الأمة. وكان المجتمع الإسلامي قد ارتكس في مستنقعات الأثرة والغطرسة الحاكمة فاختفى كل صوت إلا صوت السلطان، استطاع الإسلام الهادي عليه السلام بما أوتي من عمق التفكير ومواهب الإمامة أن يتحدى هذه التناقضات الضخمة بخلق تجربة جديدة هادفة تطرح بجزء كبير من تلك الاندفاعات السائرة بركاب الطغيان وذلك من خلال إعداد رسالي مكثف لطائفة من تلامذته وأصحابه، أمّا المناخ السياسي الذي وجد فيه الإمام فقد انبنى على الموروث السلطوي المركز القاضي باعتبار منصب السلطان هو الدولة بكل تفصيلاتها، وان المتربع على عرش الخلافة الغاشمة هو ظل الله في الأرض وله الاستعانة بالطغاة والأوباش وقادة الجند لتثبيت قواعد الحكم بأي شكل من أشكال القمع والاضطهاد والابتزاز(١١).

ولم تكن إمكانات الرفض لهذا المناخ تمتلك من القوة ما يوقف الانحراف عند حدّه، أو يتدارك الدولة من السقوط، ولم تكن الآراء موحدة إزاء التخطيط وإرادته في الخلاص من هذه الكوارث، ولم تكن الأمة بأفرادها مؤهلة للوقوف بوجه هذا التيار العارم من الابتزاز للحرية والكرامة ومصادرة تعاليم الإسلام.

أمّا المناخ السياسي في عصر الإمام العسكري فقد امتاز بالاضطهاد الذي مارسه حكام بني العباس في حق معارضيهم والتكالب على السلطة فقد قتل المنتصر أباه المتوكل وجلس على العرش بعده ثم خلع أخويه المعز والمؤيد من ولاية العهد وكذلك نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام فقد أمر

المتوكل بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وطمس آثاره، ومنع الناس من زيارته[١٢].

وكان لسياسة المتوكل وأسلافه الأثر البالغ في انفصال بعض أمصار الدولة واستقلالها عن السلطة المركزية بالتدريج حيث نشأت دويلات صغيرة وكيانات متنافسة فيما بينها، كالسامانية والبويهية والحمدانية والغزنوية والسلجوقية بعد هذا العصر[١٣]. وهذه الدويلات أضعفت كيان الدولة العباسية سياسياً لأنها قد ساهمت في إيجاد شرخ في وحدة الدولة الإسلامية الكبرى.

إنّ ضعف شخصية الحكام هو أحد عوامل التفكك والانهيار الذي أصاب الدولة الإسلامية وأدى هذا الأمر كذلك إلى سقوط هيبتهم عند الولاة مما دعاهم إلى الاتجاه نحو الاستقلال بشكل تدريجي لعلمهم بضعف مركز الخلافة وانهماك الحكام بالملاهي والملذات.

وكان تعامل الإمام الهادي عليه السلام مع طاغية عصره المتوكل العباسي طبقاً لما يقتضيه حال المتوكل من ناحية، وتبعاً لما تمليه عليه ظروف ذلك العصر من وجوب التقية من ناحية ثانية، وحفاظاً على التشيع عموماً وعلى أمر آل محمد صلى الله عليه وآله بشكل خاص من ناحية ثالثة، فالإمام الهادي عليه السلام كان حذراً جداً في تعامله مع هذا الملك العباسي، الذي كان شديد البغض لأهل البيت عليهم السلام ، فكانت حادثة استدعاء المتوكل للإمام الهادي عليه السلام بعد أن وشى به العباسيون وأعداء آل محمد والمتوكل في حالة سكر وثمالة، فلما حضر الإمام عليه السلام وتبين للمتوكل كذب الواشين طلب من الهادي عليه السلام أن ينشده أبياتاً من الشعر فأبى، ولكن المتوكل ألح عليه فأنشد الإمام عليه السلام القصيدة التي مطلعها:

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم
غلب الرجال فما أغنتهم القلل[١٤]

حتى ضيق على الإمام عليه السلام من بطش المتوكل، ولكن الإمام الهادي عليه السلام كان يدرك تماماً ما يجب قوله في مثل هذه المواقف، فوعظه بتلك القصيدة البليغة فأسقط في يد المتوكل وبكى بكاءً شديداً ثم انصرف الإمام بسلام[١٥].

وكان الإمام علي الهادي عليه السلام قد نهد بتكليفه الشرعي في وعظ المتوكل وتبكيته على عمله الشائن في مجلس شراب متهتك، ويدعو فيه الإمام عليه السلام إلى مشاركته... تطاولاً على منزلته واستهتاراً بكل أصول اللياقة والشرف.

وكانت مواقف الإمام الهادي عليه السلام تجاه الأحداث متناسبة مع تلك الظروف فكان يصدر توجيهاته وتعليماته بحذر ودقة وسرية تامة إلى شيعته وأصحابه فكان الأمام الهادي عليه السلام على اطلاع دائم بالوضع والظروف التي كان يعيشها أصحابه وشيعته وهو يعمل جاداً من اجل تخفيف وطأة ذلك عنهم مما يعلمه من سوء ظروفهم الاقتصادية والسياسية، وما تقوم به السلطة العباسية من التضييق وخلق ظروف يصعب عليهم التحرك أو العمل فيها فضلا عن محاربتهم اقتصادياً وسياسياً فكان يتوخى - الإمام عليه السلام - تقوية صلتهم وتوجههم للارتباط بالله سبحانه وتعالى وقضاء حوائجهم الخاصة وإعادة الثقة بأنفسهم لمداومة نصرة الحق وخذلان الباطل[١٦].

وقد قام البلاط العباسي باستخدام أساليب جديدة لإرهاب الأمة وخنق أنفاسها بسطوة الأتراك الغاشمة، الذين استولوا على مقدرات الشعب المسلم بكل مظاهرها العامة والخاصة، فتسلموا مراكز النفوذ واحتكروا

صلاحية القرار وتسللوا إلى مواقع السلطة وتدخلوا في شؤون الحكم كافة فكان لهم العزل والنصب والإقالة ومصادرة الأموال وتصفية المعارضين جسدياً.

ولما كان عصر الإمام الهادي عليه السلام قريب من عصر الغيبة المرتقب فكان عليه أن يهيئ الجماعة الصالحة لاستقبال هذا العصر الجديد الذي لم يعهد من قبل حيث لم يمارس الشيعة حياتهم إلا في ظل الارتباط المباشر بالأئمة المعصومين خلال قرنين ونصف من الزمن ومن هنا كان دور الإمام الهادي عليه السلام في هذا المجال مهماً وتأسيسياً وصعباً على الرغم من كل التصريحات التي كانت تتداول بين المسلمين عامة وبين شيعة أهل البيت خاصة حول غيبة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وعلى الرغم من العزلة التي كانت قد فرضتها السلطة العباسية على هذا الإمام حيث أحكمت الرقابة عليه في عاصمتها سامراء ولكن الإمام كان يمارس دوره المطلوب ونشاطه التوجيهي بكل دقة وحذر، وكان يستعين بجهاز الوكلاء الذي أسسه الإمام الصادق عليه السلام وأحكم دعائمه أبوه الإمام الجواد عليه السلام وسعى من خلال هذا الجهاز المحكم أن يقدم لشيعته أهم ما تحتاج إليه في ظرفها العصيب، وبهذا أخذ يتجه بالخط الشيعي أتباع أهل البيت عليهم السلام نحو الاستقلال الذي كان يتطلبه عصر الغيبة الكبرى فسعى الإمام علي الهادي عليه السلام بكل جد في تربية العلماء والفقهاء إلى جانب رفده المسلمين بالعطاء الفكري والديني العقائدي والفقهي والأخلاقي(١٧).

لقد كان الأئمة عليهم السلام يقودون الثورات ضد الأمويين والعباسيين من وراء الستار بعد أن كانوا يربون الثائرين في بيوتهم وحجورهم، ثم كانوا يمدونهم بالدعاء، وينعونهم بعد مقتلهم ويدفعون الأموال إلى من بقي منهم ويلعنون قتلتهم، وإنما لم يكن الإمام هو الذي يقوم بالثورة الظاهرة، لأجل

إكمال المسيرة الفكرية، عقيدة وشريعة[١٨].

وظهرت في عهد الإمام الهادي عليه السلام ثورات عديدة فجرتها الحركة الرسالية، وقد بدأت بثورة محمد بن صالح بن موسى بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من فتيان آل أبي طالب، وقتالهم وشجعانهم، وكان قد ثار في (سوبقه) وخرجت جموع الناس معه، وفي تلك السنة كان يحج بصورة رسمية من قبل السلطات العباسية، رجل يدعى (أبو الساج) الذي ترك محمد بن صالح بن عبد الله واسمه موسى بن عبد الله وأفشى قضايا كثيرة لأنه كان خائفاً من نجاح الثورة ومن بعدها يصيبه ما يصيبه، فاقتيد محمد بن صالح خدعة إلى أبي الساج ومن ثم إلى المتوكل العباسي الذي حبسه إلى قبل مماته بسنتين وأيضا ثار الحسن بن زيد ومعه محمد بن إسماعيل بن زيد في طبرستان ونواحي الديلم، فانتصر على السلطات العباسية المتواجدة هناك أو ربما كان الوحيد الذي انتصر في تلك الحقبة.

كما ثار محمد بن محمد بن جعفر بالري إلا أنه لم يحقق انتصاراً فحبسه عبد الله بن ظاهر بنيشابو حتى مات[١٩].

وقد كان الإمام عليه السلام على علم بأغلب حركات الثائرين لأنه من غير المعقول أن يقوم الثوار العلويون بالثورة وهم الذين تربوا على يد الإمام الهادي عليه السلام من غير علمه وموافقته على ذلك، ولو لم يستشعر المتوكل العباسي الخطر من الإمام لما حبسه في السجن مدة من الزمن، ولكن الحقيقة أن الإمام كان يشكل خطراً على الحكم لأنه كان يثوّر الجماهير ضد النظام المستبد.

كان الثوار العلويون عندما يتوسمون في أنفسهم القوة والأتباع، يرون وجوب التخطيط للثورة والخروج على حكامهم المترفين، وكانت أغلب

الثورات تدعو إلى شعار - الرضا من آل محمد - ويرون بهذا الشعار والشخص الذي هو أفضل آل محمد، وليس في اعتقادهم غير الإمام الهادي عليه السلام والثوار بشعارهم هذا، إنما يريدون به تكتيكا بارعا لإخفاء الإمام عليه السلام وعدم وضعه في حال فشل الثورة - موضع التهمة والحرج تجاه السلطات الحاكمة، وهم يعلمون أن الإمام عليه السلام أمام سمع الدولة وبصرها، ولربما قتلته بعد أن تتهمه بإثارة العصيان والتمرد ضدها(٢٠).

أما الإمام الحسن العسكري عليه السلام فكانت له المواقف الحذرة والمحترسة في علاقته بالحكم أن يفوت على الحكم العباسي مخططه القاضي بدمج أئمة أهل البيت وصهرهم في بوتقة الجهاز الحاكم وإخضاعهم للمراقبة الدائمة والإقامة الجبرية التي تهدف إلى عزلهم عن قواعدهم ومواليهم، فكان العسكري كوالده مكرها على مواصلة السلطة من خلال الحضور إلى بلاط الخليفة كل يوم اثنين وخميس.

وقد استغل الحسن العسكري هذه السياسة لإيهام السلطة بعدم الخروج على سياستها، ليدفع عن أصحابه الضغط والملاحقات التي كانوا يتعرضون لها من قبل الدولة العباسية ولكن من دون أن يعطي السلطة الغطاء الشرعي الذي يكرس شرعيتها ويبرر سياستها.

وقام بإدارة الشيعة الذين أصبح وزنهم السياسي متعاظما في عهد الإمام الكاظم واعترف بهم كقوة سياسية في العهود التي تلت ولاية العهد من قبل الإمام الرضا عليه السلام، وحتى غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، فكوّن عبر الآفاق شبكة الوكلاء الذين كانوا يمثلونه ونظم كيفية المراسلة بينه وبينهم(٢١).

والإمام العسكري عليه السلام يعلم بكل وضوح تعلق الإرادة الإلهية بغيبة ولده من أجل إقامة دولة الله في أرضه وتطبيقها على الإنسانية أجمع والأخذ بيد

المستضعفين في الأرض ليبدل خوفهم أمنا. يعبدون الله لا يشركون به شيئاً[٢٢].

وقد سار الإمام العسكري عليه السلام على خطى أبيه عليه السلام في التخطيط لمستقبل الإمامة والتحضير لزمان الغيبة بتهيئة المقدمات الضرورية للانتقال من مرحلة الإمامة الظاهرة إلى الإمامة الغائبة وتعويد الشيعة على ذلك فكرا وأسلوبا وكانت المهمة التي نهض بها الإمام العسكري عليه السلام في هذا السبيل صعبة للغاية، ذلك لأنه والد الإمام الثاني عشر عليه السلام ويقع عليه العبء الأكبر في ترسيخ مبدأ الغيبة التي بدأت تباشيرها وأوشك زمانها في وقت عصيب عملت فيه السلطة الحاكمة على عزل الإمام عليه السلام عن أصحابه ومواليه وشددت الرقابة عليه، ووقفت ضده وضد فكرة الغيبة بالذات، فاستطاع إمامنا الممتحن الصابر عليه السلام أن ينهض بهذه المهمة العسيرة بكل جدارة وقوة، فعمل على تأصيل هذا المبدأ العقائدي الذي هو من صميم الدين وضرورياته في نفوس أصحابه، واستطاع أن يتخذ تدابير الحيطة والسرية للحفاظ على حياة ولده الحجة عليه السلام من براثن السلطة وأدوات رقابتها وقمعها[٢٣].

وقال المسعودي: ((روي أن أبا الحسن صاحب العسكري عليه السلام احتجب عن كثير من الشيعة إلا عن عدد يسير من خواصه، فلما أفضى الأمر إلى أبي محمد عليه السلام كان يكلم شيعته الخواص، وغيرهم من وراء الستر إلا في الأوقات التي ركب فيها إلى دار السلطان وأن ذلك إنما كان منه ومن أبيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان عليه السلام لتآلف الشيعة ذلك ولا تنكر الغيبة، وتجري العادة بالاحتجاب))[٢٤].

إنّ الإمامين العسكريين عليهما السلام على الرغم من ابتعادهما عن مجال الحكم كانا يتحملان باستمرار مسؤولية الحفاظ على الرسالة وعلى التجربة

الإسلامية وتحصينها ضد التردي إلى الهاوية هاوية الانحراف والانزلاق عن مبادئها وقيمها. فكلما كان الانحراف يقوى ويشتد، وينذر بخطر التردي إلى الهاوية كان الإمامان يتخذان التدابير اللازمة ضد ذلك وكلما وقع في التجربة الإسلامية والعقيدة من المحنة والمشكلة، وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها بحكم عدم كفاءتها، بادر الأئمة عليهم السلام إلى تقويم الحل ووقاية الأمة من الأخطار التي كانت تحدق بها، إن هذه المعارضة للزعامات المنحرفة على الرغم من أنها اتخذت مظهراً سلبياً بدلا عن مظهر الاصطدام الايجابي والمقابلة المسلحة، غير أن المعارضة حتى بصيغتها السلبية كانت عملا ايجابيا عظيما في صيانة الإسلام والحفاظ على مثله وقيمه(٢٥).

مفهوم القيادة في الفكر الإسلامي:

إنّ الحاكم الأول المطلق هو الله تعالى، والحاكم الأول في الإسلام المنصوص والمدلول عليه من قبل الله تعالى هو النبي صلى الله عليه وآله قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢٦)، بعد استقرار الدليل العقلي على أن لله سبحانه وتعالى خلقا يمثلونه في الأرض مبشرين ومنذرين(٢٧).

قال أبو عبد الله عليه السلام: (إنّا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً، لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسهم ولا يلامسوه، ولا يباشرهم ولا يباشروه، ولا يحاجهم ولا يحاجوه، فثبت أن له سفراء في خلقه وعباده يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أن له معبرين وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثون بها غير مشاركين للناس في أحوالهم

على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب)[٢٨].

أمّا الحاكم الثاني وهو الذي يسمى عند المسلمين بالإمام والعبء الذي يقوم به يسمى الإمامة ويؤمن بالإمامة المسلمون قاطبة وعليها قام إجماعهم، وهي تمثل الخلافة عندهم إلا أن الاختلاف وقع في نمطها وكيفيتها فهل هي مثل النبوة لا تكون إلا بالتعيين من المصدر الأول للسلطة والحاكمية أم لا؟ بل هي أمر متروك للرعية، فهي التي تختار وعلى هذا تكون الإمامة بناء على الرأي الأول أصلا من أصول الدين وتكون على الرأي الثاني فرعا من فروعه[٢٩]، والإمامة عند الإمامية أعلى درجات الاستخلاف في الأرض بنص القرآن: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤. والوجه للخلافة والسلطان شيء، وقيادة الأمة في ضوء الفكر الإمامي شيء آخر، وليس شرطا أن يحكم الإمام حكما ظاهريا أو يمسك بالسلطان في الدولة، فالإمام إمام حكم أو لم يحكم ولقد حكم علي عليه السلام حقبة من الزمان وحكم الحسن عليه السلام مدة قصيرة، ولم يحكم بقية الأئمة عليهم السلام ولم تنقطع الإمامة، وإن انقطع الحكم.

والإمامة امتداد للنبوة، فكما كانت النبوة منصبا إلهيا لا حول للبشر فيه ولا قوة، فكذلك الإمامة، والنبي صلى الله عليه وآله هو الذي ينص على خلفائه في الدين، والمتقدم من الأئمة ينص على من يليه في المنصب[٣٠].

إنّ أهل البيت هم امتداد للنبوة وولاة الأمر الذين أوجب الله طاعتهم وولايتهم ومودتهم لذلك فقد تحمل أهل البيت عليهم السلام مسؤولياتهم الرسالية لا تأخذهم في سبيل النهوض بها لومة لائم، فسجلوا في التاريخ والمجتمع الإسلامي حضورا قياديا فاعلا ومؤثرا وقاموا بالانجازات العظيمة طيلة

حياتهم في جميع الميادين: الروحية والسياسية والعلمية والأخلاقية، يدافعون عن الإسلام والمسلمين في مواجهة أعدائهم الداخليين والخارجيين من الحكام المنحرفين والمنافقين والسياسيين الانتهازيين، والزنادقة والملحدين والمفسدين.

إنّ الأئمة عليهم السلام اختصوا بأداء منهجي معين في القيادة يختلف عن باقي الناس المتصدين لنفس المهمة إذ الأئمة ليس كباقي الناس فاختصاصهم من قبل الله تعالى بالعصمة والنزاهة وقربهم الداني من رسول الله صلى الله عليه وآله وإيكال مهمة الإمامة لهم والنص عليهم دون غيرهم، كلها أمور جعلت منهجهم القيادي يتصف بخصوصية تتلاءم وطبيعتهم هذه.

الدور القيادي للإمامين العسكريين:

إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمامان العسكريان يدركون أن أهدافهم العامة ومنها الدفاع عن كيان الإسلام وحفظ وجود الأمة الإسلامية لا يمكن أن يتحقق بمجرد العمل على المستوى العام والدائرة الواسعة؛ لأنّ تحقيق هذا الهدف وبأبعاده المختلفة إنما يمكن أن يستمر إذا توافرت شروط الوعي الدائم، والزخم العاطفي المستمر، والعنصر القيادي في الأمة الذي يقوم بمهمة التوعية وإدامة الزخم[٣١].

وكان إقصاء أئمة أهل البيت ومنهم الإمامان العسكريان عليهما السلام عن دورهم الأساسي في قيادة الأمة بفعل الانحراف وسوء الاختيار والأهواء الشخصية والسياسية الذي أدى إلى تخلف الأمة وإحباطها وسوء الأوضاع التي عاشها المسلمون آنذاك، بل تعيشها البشرية إلى الآن، لم يمنعهم هذا الإقصاء من ممارسة دورهم كقادة للمجتمع الإسلامي والمحاولة لإعادة الحق إلى نصابه والتخطيط لبناء الجماعة الصالحة التي يمكن أن يكون لها

دور المساهمة في قيادة التجربة الإسلامية، سواء في أيام حضور هؤلاء الأئمة سلام الله عليهم، أو بعد الغيبة الكبرى للإمام المهدي عجل الله فرجه، وذلك أن بناء الجماعة الصالحة لم يكن لمجرد تكثير الأنصار والمهتمين أو توسعة دائرة الأفراد الصالحين والاستعانة بهم في العمل السياسي الذي كان يمارسه هؤلاء الأئمة فحسب، وإنما كانت هناك أهداف أخرى ترتبط بالأهداف العامة للأئمة عليهم السلام على جميع المستويات والأبعاد بحيث تؤديها هذه الجماعة الصالحة من خلال وجودها وتماسكها أمة وجماعة أو أفراد ومنها المحافظة على وجود المجتمع الإسلامي.

والإمام الهادي في ميزان التقييم الاجتماعي في عداد القادة الأفذاذ سلوكا وإرادة وإدارة، وفي مستوى الحدث التاريخي في ظرفه العصيب هو ذلك الحذر المتيقظ والرائد المتحفز في سد الثغرات المتطايرة بأمواج الأرعاد والأزباد والفتن يشقها بجبين وضاء، وهو لدى اتباعه المنقذ من الضلال، والقائم بأمر الولاية الإلهية والخلافة الشرعية لا ينازعه فيها أحد(٣٢).

وكان للإمام جانب كبير من الأهمية والاعتذار والإكبار في الرأي الآخر(كان وارث أبيه علما وسخاء)(٣٣)، و(كان متعبدا فقيها إماما)(٣٤)، وأقسم أبو عبد الله الجنيدي فيه (والله لهو خير أهل الأرض وأفضل من برأه الله تعالى)(٣٥).

فلقد كان الإمام علي الهادي عليه السلام يقود الجماهير قيادة حقيقية وكان يستولي على قلوب الناس، ومن يستولي على قلوبهم يستطيع أن يوجههم كيفما يريد (كان الإمام يقود الأمة قيادة حقيقية، ذلك لأن سيطرة الخلافة العباسية قد تراجعت منذ عهد الإمام الرضا عليه السلام إلى درجة أنها لم تكن تعني شيئا كبيرا، وقد فرضت الحركة الرسالية نفسها على الأحداث بشكل كبير، فكان الإمام علي الهادي عليه السلام يتنقل بين المدينة المنورة وسامراء،

وعندما يكون في المدينة فإنه يعيش وكأنه دولة داخل دولة، أي أن والي المدينة لم يكن له من القدرة والقوة ليفرض أي أمر على الإمام)[٣٦].

بالفعل الإمام عليه السلام كان يشكل دولة داخل دولة، وكان الإمام في المدينة هو القائد والموجه، وقد ارتبط الناس في المدينة بالإمام الهادي عليه السلام ارتباطا عضويا، ولم يكن للخليفة العباسي أي تأثير على الجماهير، وهذه الرواية تدل على ذلك.

(إن بريحة العباسي صاحب الصلاة بالحرمين كتب إلى المتوكل إن كان لك في الحرمين حاجة فاخرج علي بن محمد منها، فإنه قد دعا الناس إلى نفسه واتبعه خلق كثير)[٣٧]، وتابع بريحة الكتب في هذا المعنى، أمّا ابن الجوزي فذكر في تذكرة الخواص قال: (علماء السير، إنما أشخصه المتوكل من المدينة إلى بغداد لأن المتوكل كان يبغض عليا وذريته فبلغه مقام علي الهادي عليه السلام بالمدينة المنورة وميل الناس إليه فخاف منه فدعا يحيى بن هرثمة وقال:"اذهب إلى المدينة وانظر في حاله وأشخصه إلينا" قال يحيى: "فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجا عظيما ما سمع الناس بمثله خوفا على علي وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسنا إليهم ملازما للمسجد، ولم يكن عنده ميل إلى الدنيا فجعلت أسكتهم وأحلف لهم أني لم أؤمر فيه بمكروه وأنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب العلم فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسي وأحسنت عشرته)[٣٨].

فهذه الرواية تدل على أن الإمام الهادي عليه السلام كان يقدم نفسه كقيادة شرعية للجماهير وأيضا كان يشكل خطرا يهدد القيادة الرسمية (الخلافة) وأنه استطاع أن يستقطب الجماهير نحوه وأن يؤلب الناس ضد الخلافة غير الشرعية.

فالإمام الهادي عليه السلام إذن كان قيادة حقيقية، يوجه الناس نحو القيم والمبادئ ويرشدهم إلى الطريق الصحيح (حيث كان كبار الرساليين في المدينة المنورة يجتمعون مع الإمام فيجلس ويعطيهم الأوامر وتحمل إليه الأموال الكثيرة، والإمام أيضا يبعث بتلك الأموال إلى أصحابها، أي أنه كان يقود دورة مالية في الأمة الإسلامية)[٣٩]، و(ذات مرة جاء إلى المتوكل أحد الجواسيس وقال "وأنت جالس في قصرك هنا والأموال تحمل إلى علي الهادي، قال: عجيب! من الذي يحمل الأموال إليه؟ قال: الآن ستأتي قافلة من قم ومعها أموال إلى علي الهادي، فطلب المتوكل (فتح بن خاقان) أكبر وزرائه وهو قائد الجيش أيضا، وقال له: إن قافلة تأتي من طرف كذا تدخل سامراء غدا صباحا فأريدك أن تأخذ جيشا وتأخذ على القافلة وترى إذا كانت في القافلة أموال محملة إلى علي الهادي تقيضها وتأتي بها إلي.. فخرج الفتح بن خاقان إلى المهمة، لكن مكر المتوكل لم ينجح)[٤٠].

فعن محمد بن داود القمي ومحمد الطلحي قالا: حملنا مالا من خمس ونذر وهدايا وجواهر اجتمعت في قم وبلادها وخرجنا نريد بها سيدنا أبا الحسن الهادي عليه السلام فجاءنا رسوله في الطريق أن ارجعوا فليس هذا وقت الوصول فرجعنا إلى قم وأحرزنا ما كان عندنا، فجاءنا أمره بعد أيام أن قد أنفذنا إليكم إبلا وعيرا فاحملوا عليها ما عندكم، وخلو سبيلها، قال: فحملناها وأودعناها الله فلما كان من قابل، قدمنا عليه، فقال: انظروا إلى ما حملتم إلينا فنظرنا فإذا المنايح كما هي[٤١]:

هذه الرواية تدل بوضوح أن الناس كانوا يرتبطون بالإمام عليه السلام في جميع شؤونهم وليس بالخليفة.

وكان الإمام عليه السلام بوصفه قائداً للأمة الإسلامية يقوم بواجباته القيادية ومسؤولياته الشرعية، ويمارس صلاحياته فكان عليه السلام يخدم الناس، ويقضي

حوائجهم ويزور مرضاهم، وذات مرة: (دخل أبو عمرو عثمان بن سعيد واحمد بن إسحاق الاشعري، وعلي بن جعفر الهمداني على أبي الحسن العسكري، فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه فقال: يا أبا عمرو ـ وكان وكيله ـ ادفع إليه ثلاثين ألف دينار، والى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار وخذ أنت ثلاثين ألف دينار)[٤٢]، وفي رواية أخرى: (قال اسحاق الجلاب اشتريت لأبي الحسن غنماً كثيرة، فدعاني فأدخلني من اصطبل داره إلى موضع واسع لا أعرفه، فجعلت أفرق تلك الغنم فيمن أمرني به)[٤٣].

هذه الروايات تدل على أن الإمام الهادي عليه السلام كان يعمل من أجل خدمة الجماهير، وقضاء حوائجهم، والقائد الحقيقي هو الذي يقدم خدمات للجماهير، لا الذي يقدم قرارات للجماهير وحسب، ولذلك فالناس ارتبطت بالإمام الهادي عليه السلام كقائد وموجه لها.

منهج الإمام العسكري في قيادة الأمة:

لقد سلك الإمام العسكري منهجاً جديداً في قيادة الأمة تمثل في التمهيد التدريجي لولده الإمام المنتظر بفكر جديد، وإستراتيجية منظمة، والتمس خطاً متوازناً في الأداء، وكان هذا إيذاناً بإثارة هواجس البلاط العباسي والظالمين، فولده هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، والعباسيون يعرفون ذلك جيداً بما صح لديهم من روايات، وهو ما يقض مضاجعهم ويطوح بأحلامهم، فهم الظلمة وهم الجائرون، وهذا ما يجعلهم يعيشون حياة الرعب والقلق والاضطراب فضرب الحصار الأخير على الإمام العسكري عليه السلام ومتابعة تحركاته وتطويقه برقابة صارمة، وعرضه على السجون والمعتقلات الرهيبة، وفرض تواجده في دار العامة وهي البلاط العباسي، وكان استنفار القوى الأمنية في مواجهة الإمام، وقد

حدد نشاطه الإنساني في شتى المجالات، فاضطر الإمام في قيادته إلى ابتكار أساليب متطورة زمنياً بالنسبة لعصره(٤٤).

فاستطاع أن يهيئ ذهنية شيعته لتقيل عصر الغيبة باتباع الأسلوب نفسه الذي يستخدمه ولده المهدي عليه السلام في عصر الغيبة، وهو الاحتجاب عن الناس واتخاذ الوكلاء الذين يختارهم خاصة، والاتصال بأصحابه عن طريق المكاتبات والتواقيع التي صارت سمة بارزة في حياة الأمامين العسكريين عليهما السلام(٤٥).

لقد ورث الإمام العسكري من أبيه الإمام الهادي عليه السلام تأثيره الفاعل في مراكز القوى وتغلغله في قواعد الجماهير وشعبية تلقائية في صفوف الأمة.

فقد احتل منزلة أبيه الهادي عليه السلام عند أوليائه، فهي تسير برأيه وحده في عهده، وتعتقد بإمامته الشرعية سواء أكان في الحكم أم كان خارج الحكم، فهو صاحب المنصب القيادي الروحي وإن عزل عن المنصب الظاهري في إدارة الدولة، وأبعد فعلياً عن ممارسة صلاحياته السياسية والتشريعية في الحكم(٤٦).

ونهج منهج أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام في رعاية مصالح العباد، وتطوير حياة المحرومين، وإغاثة الفقراء وذوي الحاجة.

وقد كان الإمام مهتماً كآبائه عليهم السلام بالعمل السري غاية الاهتمام فضلاً عن إلى أحكامه لمجاز الوكلاء ليكون قادراً على أداء دوره القيادي بشكل تام وفي ظل تلك الظروف العصيبة حتى استطاع أن يقضي على محاولات الإبادة لنهج أهل البيت عليهم السلام.

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام على الرغم من حراجة ظروفه السياسية، جاداً في الدفاع عن الشريعة ومحاربة البدع وهداية المترددين

والشاكين وجذبهم إلى حضيرة الدين[٤٧]، (فقد حدّث القاسم الهروي، قال: خرج توقيع من أبي محمد عليه السلام إلى بعض بين أسباط، قال: كتبت إليه أخبره عن اختلاف الموالي وأسأله اظهار دليل، فكتب اليّ: (وإنما خاطب الله عز وجل العاقل، ليس احد يأتي بآية أو يظهر دليلاً أكثر مما جاء به خاتم الانبياء وسيد المرسلين، فقالوا ساحر وكاهن وكذاب وهدى الله من اهتدى، غير أن الأدلة يسكت إليها كثير من الناس، وذلك أن الله عز وجل يأذن لنا فنتكلم ويمنع فنصمت. ولو احد أن لا يظهر حقاً ما بعث النبيين مبشرين ومنذرين فصدعوا بالحق في حال الضعف والقوة وينطقون في أوقات ليقضي الله أمره وينفذ حكمه))[٤٨].

وفي محنة خلق القرآن، قدمه وحدوثه، وما سفك فيها من الدماء، وما اعتدي فيها على العلماء، اختصر الإمام العسكري إيضاح الأمر بالقول الفصل (الله خالق كل شيء وما سواه مخلوق)[٤٩].

وقال سهل بن زياد: سئل الإمام العسكري عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[٥٠]، فقال عليه السلام (له الأمر من قبل أن يأمر به وله الأمر من بعد أن يأمر بما يشاءه) أفقلت في نفسي هو قول الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٥١]، قلت: اشهد انك حجة الله وابن حجته في خلقه)[٥٢].

فكان الإمام العسكري عليه السلام يدفع الشبهات بإضافاته ويفسر الطريق بإضافاته، منطلقاً بذلك كله عن فهم عميق لما يدور حوله، ومتحدثاً عن خبره متأصلة بطبيعة الأحداث، فمضى في الطريق المستقيم مسدد الخطى، نافذ البصيرة.

وقد تصدى الإمام للصوفية، والواقعية، وكان يلاحق الزنادقة في زمانه وخصوصاً الذي يعملون على تهديم الأسس العقيدية والثقافية للإسلام،

ومنهم يعقوب بن إسحاق الكندي الذي أخذ بتأليف ما توهم وجوده من تناقض آيات القرآن وشغل نفسه بذلك، حيث قال الإمام لأحد تلاميذ الكندي (أمّا فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي مما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟ فقال التلميذ نحن من تلامذته، كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟ فقال له أبو محمد عليه السلام أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو يبسله فإذا وقعت الأنسه في ذلك، فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك، فقال: له: إن أتاك هذا المتكلم بالقرآن، هل يجور أن يكون مراده بما تكلم به غير المعاني التي قد ظننت انك قد ذهبت إليها؟ فإنه سيقول: انه من الجائز، لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك العلة أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فتكون واضعاً لغير معانيه، فصار الرجل إلى الكندي، وتلطف إلى أن ألقى هذه المسألة، فقال له: أعد عليّ: فأعاد عليه، فتفكر في نفسه ورأى أن ذلك محتمل في اللغة، فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال:كلا، ما تحملك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، تعرفني من أين لك هذا؟ فقال أمرني به أبو محمد عليه السلام فقال: الآن جئت به وما كان يخرج هذا الأمر إلا من ذلك البيت الذي زق أهله العلم زقاً والذين يعيشون صفاء الحقيقة واستقامة التفكير والجدل من أجل الوصول إلى الحقيقة. ثم انه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه)[٥٣].

من خلال هذه الحادثة كان أسلوب القيادة الفذة الحكيمة واضح جداً فربما كان هذا التلميذ من شيعة الإمام الذي تسلك إلى جهاز الكندي، إذ من المناسب جداً استخدام هذه الأساليب من قبل القيادات الرسالية لمقاومة التيارات المنحرفة، وكذلك أسلوب الحوار الذي أرشدنا الإمام إليه

من أساليب الحوار في القرآن الكريم، وهو أننا إذا أردنا أن ندخل في حوار فكري مع شخص آخر نختلف معه، فعلينا أن ندخل قلبه لنستطيع أن ندخل عقله، ولذلك قال الإمام عليه السلام لذلك التلميذ: (فسر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته) واتضح أيضا من خلال هذه الحادثة أن أهل البيت لا ينكرون على الذين يختلفون معهم صفاتهم الإيجابية خلافاً لما هو دائر بيننا فإذا اختلفنا مع شخص فلا نتحدث عنه بخير، سمع أن الكندي ألف كتاباً في تناقض القرآن وهو أمر خطير، لكن الإمام يقول لتلميذه: إنه رجل يفهم إذا سمع، أي إنه رجل مفكر إذا جئته بفكرة معقولة فإنها سوف تدخل عقله ولا يتعصب في رفضها ويتثبت بقناعته.

وكان منهج الإمام العسكري عليه السلام في ممارسة قيادة لمواليه وأصحابه رعاية لمصالحهم والدفاع عن قضاياهم في حدود فسحة ضيقة محكومة بالرقابة والضغط، وعلى هذا الصعيد كان عليه السلام يحذرهم الأخطار والفتن المحدقة بهم، ومن الوقوع في أحابيل السلطة، ويساعدهم في إخفاء نشاطهم بحسب الإمكان، ويهيئ الجماعة الصالحة لغيبة ولده الحجة عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

وفي هذا الاتجاه أوحى إلى أصحابه أن يكونوا على أهبة من فتنة تظلهم عند موت المعتز[٥٤]، وحذرهم من الإذاعة وطلب الرئاسة مشدداً على التقوى وأداء الأمانة، فقد جاء في الرسالة له عليه السلام إلى بعض بني أسباط (إياك والإذاعة وطلب الرئاسة، فانتهى يدعوان إلى الهلكة... وأخر من تثق به من موالي الإسلام وأمرهم بتقوى الله العظيم وأداء الأمانة وأعلمهم أن المذيع علينا حرب لنا)[٥٥].

إذن أقل دليل يمكن أن تستدل به على الموقع القيادي والمؤثر للأئمة عليهم السلام في المجتمع، هو توجس السلطات ضيقة منهم ومطاردتهم والفتك بهم

جميعاً عليهم السلام باستثناء الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف الذي هو غائب عن الأبصار.

سياسة الإمام مع جمهور الأمة:

قد يرى بعضهم أن الإمام العسكري أو الهادي أو أي من أئمة أهل البيت الذين سبقوهم. قد نرى أنهم قد اعتمدوا على طبقة خاصة من أصحابهم وأوكلوا إليهم بعض المهمات لتوجيه باقي الأمة.

في حين أن هناك الكثير من طبقات الشعب تركت دون إشارة إليهم وتلميح. وهذه الطبقات قد تمثل بأكثريتها الرأي العام. وهذا الرأي العام هو المؤثر في المجتمع دون الطبقة التي اعتمد عليها الأئمة.

فذلك الأمر صحيح فهو بالتالي أدى إلى التفاف هذه الطبقات حول الحكام والولاة والسلاطين مما ساعدهم على تقوية نفوذهم والسيطرة على مقاليد الحكم والتسلط.

فهذا الأمر لم يكن بعيداً عن خلد أئمة أهل البيت عليهم السلام ولكن انطلاقاً من تقديم مصلحة المجموع على مصلحة الأفراد والتي تشكل هذه القاعدة فلسفة الفكر الإسلامي في مفهوم القيادة والعدالة والمساواة، هذا الأمر. الذي دعا بالإمام علي عليه السلام قبل أولاده بمقولته الشهيرة ((أفسدتم عليَّ رأيي ولا رأي لمن لا يطاع)) وهذا الأمر ذاته دعا بالإمام الحسن عليه السلام إلى التنازل عن قيادة السلطة التنفيذية يوماً ما.

ولم يكن هذا الأمر خافياً أو غير واضح المعالم في الفكر الإسلامي عموماً فقد أشار القرآن الكريم بالكثير من آياته إلى هذه الكثرة التي تمثل الرأي العام ووصفهم بعدم التعقل، وبأنهم لا يعلمون، وبأنهم يجحدون وفاسقون ولا يؤمنون وللحق كارهون ولا يشكرون وهم الكافرون وأنهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ولا يسمعون وما وجدنا لأكثرهم من عهد،

وما يتبع أكثرهم إلا ظناً.

فضلاً عن ذلك ((أن قبل الرأي العام والأكثرية والأمة للقوانين والأحكام الإلهية أو العقلية الحقة هو بمثابة تبيين للأمة واستعلامها للوظيفة والتكليف الملقى على عاتقها، فان الأحكام والمسؤوليات والوظائف لا تتنجّز ولا تكون ناجزة تستحق الأمة عليها اللوم بمخالفتها ما لم تطلّع الأمة على تلك الوظائف))(٥٦).

وهذا الأمر يستوجب على الأئمة عليهم السلام أن يصمتوا عن الكثير من المخالفات التي تحدث من الأمة لأن الأكثرية تغلب على الرأي، ومن أمثلة ذلك موقف الإمام علي عليه السلام من قضية التحكيم بعد حرب صفين على الرغم من عدم إيمانه بصحة هذا الموقف أساساً، ولكنه استند فيه إلى الموقف العام لأفراد جيشه، كما يشير إلى ذلك في حديثه مع الخوارج.

وكذلك موقف الإمام الحسن من الصلح مع معاوية، وكذلك قبول الامام الحسين التصدّي للثورة على يزيد، وغيرها من المواقف. وكذلك طريقة انتخاب الوكلاء التي تتم عن طريق القبول التدريجي للناس به، ومعرفتهم به ورضاهم عنه. فيكتفوا بثلة من أصحابهم بمثابة وكلاء يوكلون إليهم أمور العامة بما يتناسب ويتوافق من الشرع الإسلامي في حين يرفضون ما شذ عن التشريع، وهذا الأمر يولد التخاصم والتقاطع مع المتزلفين وأصحاب الأطماع والأهواء فيتحينون الفرص للإطاحة بالأئمة ووكلائهم ودعاتهم. وهذا ما حصل لجميع أئمة أهل البيت عليهم السلام فقضوا بين طوامير السجون وبين القتل بالسيف والسم.

ولم يستعمل أئمة أهل البيت عليهم السلام منهج القوة والعنف والقهر بل اعتمدوا أساليب منهج الإرشاد والهداية الفكرية والتوجيه، لذلك أقبل عليهم من نفعه هذا المنهج بينما رفضه الآخرون الذين لا يروق لهم إلا

منهج العنف والبطش. وهذا أيضاً انطلاقاً من فلسفة الفكر الإسلامي في التعامل مع الآخرين أوضحتها الكثير من آيات القرآن الكريم.

فتركت ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾. و﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾.

وحددت صلاحيات الرسول صلى الله عليه وآله والرسل الذين سبقوه (ما على الرسول إلا البلاغ).

وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، ثم سارت سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على هذا المنوال طيلة حياته وبالأخص في العهد المكي. وفي العهد المدني عهوده ومواثيقه وصحيفة المدينة وصلح الحديبية كلها تقرأ هذا المنهج.... ووفق هذا سار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قبل توليه زمام السلطة الدنيوية وبعدها.

ووفق هذا المنهج سار الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام إلا في المواقف التي تستوجب الوقوف أمام بعض التصرفات والتي قد بيّناها فيما مضى.

الخاتمة والاستنتاجات

بعد هذه الجولة المقتضبة بين ثنايا حياة الإمامين العسكريين في معترك الفكر السياسي لابد من الوقوف عند أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج ورؤى.

لعل من أهمها:

١- الموقف الصلب للإمامين عندما يتعلق الأمر في حياة المجتمع وما يتعلق بالتشريع الإسلامي لأعرافه وتقاليده. إذ كان موقف كل منهما واضحاً وجلياً وجريئاً أمام تلك السلطات الجائرة وبعض تلك المواقف أدى إلى مقتلهما.

٢- الوضوح في الرؤى دون مراهنات للسلطة والمتسلطين. والرفض لبعض الانحرافات التي حاولت تضليل الأمة عنها.

٣- بث الوعي الرسالي بين صفوف الأمة والقيام بدورهم كقادة ميادين بما حملوه من علم وفكر وتهيأة الأجواء لمستقبل الأمة بعدهم في عصر غيبة الإمام والقائد المعصوم عنهم.

٤- بعض مناخات الظروف دعتهم الى السكوت والصمت أمام بعض التحويرات التي حاولت السلطات السياسية إجرائها. والإشارة الواضحة الى ذلك الصمت، والتصرف بما يخالف ذلك كي تعطي تلك التصرفات خطا واضحا للموقف الإسلامي الواضح من تلك التحويرات، ويعطي للفقيه الذي سيعيش في عصر الغيبة سنة واضحة للموقف.

٥- إعطاء دور بارز للقيادة الدينية في المجتمع لئلا تنساق الأمة وراء التيارات المنحرفة أو التزلف للسلطة أو الركض ورائها دون وعي. وأداء منهج قيادي يتلاءم مع ملابسات الظروف ومتغيرات الزمان والمكان.

٦- التأكيد على منهجية متفردة وخاصة من الإمام الحسن العسكري للتخطيط لمستقبل الأمة الباقين. كون الأئمة الذين سبقوه قد اوكلوا مهمة القيادة للإمام الذي يليهم. ولكن الحسن العسكري مهد الى قيادة الأمة لغير المعصوم من وكلائهم فأعطاه دورا وصفات وحقوق وواجبات كي يرسم الطريق للأمة بمرشد ينطلق من منهج الفكر الإسلامي وبمنطق أئمة أهل البيت.

هوامش البحث ومصادره

(١) حقوق آل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنة باتفاق الامة، الشيخ محمد حسين،دار المحجة البيضاء، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٤، ص٩٧.

(٢) نهج البلاغة ،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣، خ ٣٧.

(٣) منهج النظم الإسلامية بين المؤرخين والفقهاء، د. محمود الخفاجي: ٢٧٣ دار الاندلس، بيروت، الطبعة الاولى ص٢٧٣.

(٤) فلسفة الدولة عند الشهيد الصدر، مجموعة أبحاث المؤتمرين العالميين للمنتدى الوطني، دار العارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص:٣٨٤ .

(٥) النظام السياسي في الإسلام، باقر القريشي،دار المرتضى،الطبعة الاولى،بيروت،١٩٩٢،ص:٨.

(٦) الدولة الإسلامية بن العلمانية والسلطة الدينية، محمد عمارة،دار مطبوعات مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢، ص: ١٧٤-١٧٥.

(٧) المصدر نفسه :ص١٧٦.

(٨) النظم الإسلامية، د. محمود الخفاجي، ص٢٧٦.

(٩) الدولة الإسلامية، محمد عمارة، ص١٧٩.

(١٠) الشورى وطبيعة الحاكمية، مهدي فضل الله، دار المصطفى،قم المقدسة،الطبعة الاولى،١٩٩٣، ص٤٤.

(١١) الإمام علي الهادي، د. محمود حسين علي الصغير،دار الهادي،بيروت،الطبعة الاولى،٢٠٠٢، ص٤٤.

(١٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار احياء التراث العلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨، ج١٢/٢٨٧-٢٨٨.

(١٣) تاريخ الإسلام السياسي، صائب عبد الحميد، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢١٠.

(١٤) مروج الذهب،المسعودي، علي بن الحسين بن علي (٣٤٦ت)، دار الاندلس، بيروت، ١٩٦٥م.

(١٥) أعلام الهداية (الامام الهادي)، مجمع أهل البيت عليهم السلام،دار الكوثر،قم المقدسة،الطبعة الاولى، ص:١٢٥.

(١٦) أعلام الهداية للإمام الهادي، مجمع اهل البيت عليهم السلام:١٢٩

(١٧) الإمام علي الهادي عليه السلام قراءة تحليلية للسيرة، عبد الله احمد اليوسف، دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الاولى، ص٧٨.

(١٨) الإمام علي الهادي قراءة تحليلية للسيرة، عبد الله احمد اليوسف: ٨٠.

(١٩) الأئمة الاثنا عشر، دراسة وتحليل، عادل الأديب، دار الاداب، النجف الاشرف، الطبعة الاولى، ١٩٧٨، ص:٢٣٣.

(٢٠) الإمام العسكري قدوة وأسوة، محمد تقي المدرسي، دار الهدى، قم المقدسة،الطبعة الاولى، ١٩٩٦، ص:٢٠.
(٢١) الإمام الحسن بن علي العسكري: نفس المصدر
(٢٢) الإمام الحسن العسكري، سيرة وتاريخ، علي موسى الكعبي.
(٢٣) إثبات الوصية، المسعودي،دار المؤرخ العربي،ط ١٩٨٦،٤،ص:٢٧٢.
(٢٤) أهل البيت عليهم السلام تنوع اهداف ووحدة هدف، محمد باقر الصدر،منشورات المؤتمر العلمي الاول عن الشهيد الصدر،قم المقدسة،ص :١٤٤
(٢٥) سورة النساء: ٥٦.
(٢٦) الإمامة والحكومة، محمد حسين الأنصاري، دار الهادي، بيروت، الطبعة الاولى، ص:١٩.
(٢٧) الإمامة والحكومة، محمد حسين الأنصاري: ٢٠.
(٢٨) الإمامة والحكومة، محمد حسين الأنصاري: ٢٥.
(٢٩) الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية، د. محمد حسين الصغير،دار العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧، ص:١٧-١٨.
(٣٠) دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، محمد باقر الحكيم، منشورات دار المرتضى، قم المقدسة، ط ٢، ٢٠٠٤، ص:٢٥.
(٣١) الامام علي الهادي النموذج الروحي للتخطيط المستقبلي، د. محمد حسين الصغير، دار الهادي، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣، ص:٢٥.
(٣٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر،دار احياء التراث العلمي،بيروت،ط١٩٨٣،٢،ص:٢٠٥.
(٣٣) مرآة الجنان، اليافعي، دار الصفى،بيروت،الطبعة الثالثة،١٩٧٢ :٢١٦٠.
(٣٤) الامام محمد الجواد، المجمع العالمي لأهل البيت،دار الكوثر،قم المقدسة،ط ١٩٩٨،١،ص:٢٢، عن مآثر الكبراء:٣٩٦
(٣٥) التاريخ الإسلامي، محمد تقي المدرسي،دار الهادي،بيروت،ط١٩٩٧،١،ص :٣٦٧.
(٣٦) في رحاب أئمة أهل البيت، السيد محسن الأمين،دار البلاغ،بيروت،الطبعة الاولى،ص:١٧٦/٤.
(٣٧) التاريخ الإسلامي، محمد تقي مدرسي:٣٦٨.
(٣٨) المصدر نفسه:٣٧٠.
(٣٩) بحار الأنوار، المجلسي،دار احياء التراث العلمي،بيروت،ط ١٩٨٥،٤،ص:١٨٥/٥٠،رقم ٦٢.
(٤٠) أئمتنا، علي محمد علي دخيل، دار الودائع،بيروت،ط١،ص٢٢٢.
(٤١) المصدر نفسه، ص٢٢٣.
(٤٢) الإمام الحسن العسكري، د. محمد حسين الصغير، ص٨.
(٤٣) الإمام الحسن العسكري، سيرة وتاريخ، علي موسى الكعبي، ص٥.

(٤٤) الإمام حسن العسكري، د. محمد حسين الصغير، ص١٠٢.

(٤٥) اعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت،دار الكوثر،قم المقدسة،ط٢٠٠٢،٦،ص: ١٩٧

(٤٦) كشف الغمة، الاربلي،دار الهداية،بيروت،ط١٩٨١،١،ص: ٢١٢/٣.

(٤٧) المناقب، ابن شهر آشوب،دار المحجة البيضاء،بيروت،ط ١٩٩٤،٤،ص:٤٣٦/٤.

(٤٨) سورة الروم:٤.

(٤٩) سورة الأعراف:٥٤.

(٥٠) كشف الغمة، الاربلي: ٣ نفس المصدر /٢١٦.

(٥١) مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب، نفس المصدر،:٤٥٩/٣.

(٥٢) كشف الغمة، الاربلي، نفس المصدر،: ٢٩٥/٣

(٥٣) بحار الانوار، المجلسي ،نفس المصدر،: ٢٩٨/٥٠

(٥٤) الحاكمية بين النص والديمقراطية، محمد السند، منشورات دار المصطفى، قم المقدسة، ط١، ٢٠٠٩، ص:٢٠٤.